مجلة المرابط

العدد : ٢٢٥ الموافق في ذو القعدة ١٤٢١ هجري ٢ / ٢٠٠١ ميلادي

| عنوان المقال : انتفاضة الأقصى المبارك – دروس وعبر– | بقلم : عبد الله هارون |
|---|---|

سنتناول هذا الموضوع الكبير من خلال التركيز على أمور أساسية :

**أولاً : توصيف الحدث وضرورة أخذ الدروس منه**

يتحدث المحللون للأحداث عن قضية فلسطين بوصفها قضية محورية للعرب والمسلمين ، وبوصفها قضية كاشفة للمبادئ والشعارات ، ولا يخفى أن انتفاضة الأقصى المبارك قد انطلقت حين زار السفاح شارون يوم ٢٠٠٠/٩/٢٨م بيت المقدس ، فهب الشعب الفلسطيني بكل أبنائه للدفاع عن الأقصى ، وامتدت المظاهرات إلى أعماق الأراضي المحتلة ١٩٤٨م ، فاستخدمت قوات الاحتلال الغاشمة البنادق الآلية وأطلقت الرصاص المطاطي والحي ووجهته إلى رؤوس وصدور الشعب الفلسطيني ، وكعادتها قامت بأعمال إرهابية ظناً منها أن الشعب الفلسطيني سيتخلى عن بيت المقدس ويسلم للصهاينة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله ﷺ .

إن الذي حدث هو أن مذابح الأقصى أيقظت الشعور الإيماني عند غالبية العرب ، وألهبت مشاهد العنف الصهيوني ، وقوافل الشهداء العواطف ، فكلما ارتفع جسد شهيد من أطفال الحجارة الذين ماتوا برصاص الغاصب المتعجرف على الأعناق ، تعالى هتاف « **الله أكبر ، بالروح بالدم نفديك يا شهيد** » ، « بالروح بالدم نفديك يا أقصى » .. التهبت عواطف المسلمين فاجتاحت المظاهرات الغاضبة عدداً من المدن الإسلامية الكبرى ، وخرجت أعداد كبيرة من المسلمين الموجودين في أوروبا وأمريكا إلى الميادين العامة معلنة تضامنها مع انتفاضة الأقصى المبارك ، وارتفعت أصوات الخطباء من على منابر الجمعة ، ومن خلال عدد من وسائل الإعلام ، تنادي بضرورة الرد على المعتدي الغاصب والذي يضرب بغطرسة وكبرياء ، ويقول بكل سخرية : إن الأطفال هم الذين يستفزون الجيش بإلقاء الحجارة على الجنود ؟!! .

لم يعد خافياً أن اليهود عازمون على اغتصاب أكبر قدر ممكن من الأراضي الفلسطينية ، وعلى اتخاذ الأسباب والسبل لطرد أكبر عدد من الشعب الذي يعاني منذ عشرات السنين ، كما أنه اتضح للشعوب الإسلامية المغلوبة على أمرها والمسلوبة القرار في مستقبلها وأرضها ، أن الاستسلام والخنوع والخضوع للظلم والاستبداد لن يعود عليها إلا بمزيد من الظلم والقتل والتشريد ، اتضح لها أن الحل الوحيد للقضاء على هذه الحالة المزرية هو المواجهة والمغالبة حتى ولو بالحجارة ، فأعلنت تضامنها مع

الفلسطينيين بالدعم المالي والمعنوي ، والدعاء لأطفال الحجارة بالثبات على الحق والدفاع عن الأقصى حتى الموت .

إننا معشر المسلمين إذا درسنا انتفاضة الأقصى دراسة عميقة لخرجنا بدروس عملية ولأخذنا العظات الواقعية بالغة الآثار ، التي لو جعلها المسلم نصب عينيه ، لما أمكن لأي قوة أرضية من قوى الاستكبار والقهر أن تزحزحه عن عقيدة التوحيد ، أو تمارس عليه عمليات الاستضعاف والاستخفاف به ، ولخرج المسلمون من هذا الهوان والذل والخضوع !!

إن هذا المقال لا يؤرخ لانتفاضة الأقصى بالكتابة عنها ، ولكنني أريد توضيح بعض المعاني التي تظهر طول الحدث وعرضه وعمقه ، باعتبار أن الحدث في الحياة يأخذ من الزمن قدره من المدة التي وقع فيها طولاً ، وتمثل الوقائع على الرقعة الأرضية العرض والمساحة للحدث ، ولكن العمق والأثر الذي يتركه الحدث هو الذي يخرجه عن مجرد الوصف الزمني إلى الدروس والعبر ..

إن عمق الحدث هو الذي يعطيه البعد الثالث فيكون العطاء الذي يتجدد في الأزمان وعبر الأجيال ، وما قدمه ويقدمه شباب الحجارة إنما هو العطاء المفيد للمعاصرين وخلال الزمن ، فليس الحدث محصوراً فقط في إلقاء الحجر في وجه المغتصب الغاشم ، الذي يواجه الشباب العزل بالأسلحة المتطورة وبالجيش الذي فرت أمامه جيوش البلاد العربية في الحروب .. إن استشهاد شباب الحجارة برصاص الاحتلال يترك آثاره الزمنية بعد أن أصبح مثلاً ، ولنتذكر قول الله عزَّ وجلَّ : { **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** } [ إبراهيم : ٢٤-٢٥ ] .

كما أن هذا الحدث يصبح أثراً من علم أو خير يستمر بعد استشهاد كل شاب ، يعطي عطاءه على مدى التاريخ ويذكر المسلمين بقول رسول الله ﷺ : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** » ( رواه أبو داود والترمذي والنسائي والبخاري في الأدب المفرد ) .

**ثانياً : بعض الدروس والعبر**

سأرشد إلى عدد من الدروس والعبر التي يمكن أن ينضاف إليها غيرها ، إذ أن الأمر هنا ليس على سبيل الحصر :

**١- إحراج على مستوى المواقف لأمريكا والعالم " الحر "**

إن الذي يعقد مقارنة بين ما فعله الروس في بلاد الأفغان وما فعله الصهاينة في فلسطين يتبين له فظاعة ما يقوم به اليهود والصهاينة بالفلسطينيين وعلى أرض فلسطين منذ عشرات السنين ، وأنه أشد وأنكى بل وأكثر انتهاكاً لحرمة الإنسان وكرامة الإنسان مما فعله الروس بالأفغان ، وإن الذي يقارن ما فعله الصرب في منطقة البلقان بالمسلمين هناك بما فعله ويفعله اليهود والصهاينة ، يجد أن اليهود والصهاينة لا يماثلهم أحد في إجرامهم وطغيانهم ، ومع ذلك فقد كانت مواقف أمريكا والغرب أو من يطلقون على أنفسهم " العالم الحر " من الروس في أفغانستان ومن الصرب في البلقان تناقض تمام التناقض الموقف الأمريكي من الفلسطينيين . حتى أن الفاحص للخلفيات يتحقق أن الموقف الأمريكي من قضية فلسطين هو عين الموقف الصهيوني !!!

والذي لا يمكن أن يفهمه كل عربي وكل مسلم هو موقف البلاد العربية والإسلامية الرسمي ؛ أي موقف الحكومات ، فقد كان إلى حد كبير متطابقاً مع موقف الشعب الأفغاني ، وكان داعماً ومسانداً لموقف المسلمين في بلاد البلقان ، أما في قضية فلسطين فالموقف في جوهره قريب جداً من الموقف الأمريكي ، حتى ليخيل للمدقق أنه موقف تابع للموقف الأمريكي ، أي ضد الموقف الفلسطيني إذا استثنينا بعض المواقف الإخراجية التي تظهرها وتجملها وسائل الإعلام ، حتى ينطلي الأمر على العامة والدهماء أن أصحاب هذه المواقف العربية والإسلامية يقدمون كل ما في إمكانهم لدعم الشعب الفلسطيني في " السلام العادل وتطبيق قرارات الشرعية الدولية " !!.

وأما الموقف الغربي فهو داعم بكل - وبمكر - ما يملك للموقف الأمريكي - الصهيوني .

**٢- الرهانات العربية الخاسرة**

الذي يستقرئ الواقع العربي فيما الماضي والحاضر يتبين له أن المؤتمرات والاتفاقات الصغيرة والمحدودة كلها كانت تمثل رهانات خاسرة ، ولقد أوقعت انتفاضة الأقصى الأنظمة العربية في الفخ ، فكل المحاولات مع السلطة الفلسطينية وقيادة الكيان الصهيوني ، وحتى في مؤتمرات شرم الشيخ والقمة العربية والقمة الإسلامية ، تبين أن همها الأول هو إرضاء الكيان الصهيوني والأمريكان باتخاذ الأسباب لإيقاف الانتفاضة ، ولكن الله عزَّ وجلَّ أراد أن تتكشف الأمور فاستمرت الانتفاضة ، وحدث أن تزلزلت الأغلبية التي يحصل عليها ايهود باراك - حمامة السلام التي دعمها العرب - واستقالت الوزارة الصهيونية ، وفي وقت جرت فيه انتخابات الرئاسة في أمريكا وظهرت مهزلة الانتخابات وحاول الرئيس الأمريكي كلنتون - ظاهراً - أن يقوم بأي عملية تدخل في التدجيل على الشعب الفلسطيني تحت

غطاء عربي - فلسطيني ، ولكن الله عزَّ وجلَّ خيب هذه المخططات ، واستمرت الانتفاضة المباركة .

والسؤال الذي يجب أن يطرحه القادة العرب على أنفسهم : إلى متى تظل هذه الرهانات الخاسرة ؟!.

**هل يراد للشعب الفلسطيني أن يتحرر ؟**

إن العالم العربي والإسلامي الذي وضع يده في يد أمريكا في أزمة الكويت ، فاتخذ خطوات جبارة وقرارات عاجلة ، وشارك في تكوين جيش جرار تحرك قبل عشر سنوات بكل الأسلحة ، بما في ذلك استخدام اليورانيوم المستنفذ .. ولا أريد هنا أن أتحدث عن هذه الحرب وأبعادها وآثارها ، ولكنني أود أن أسأل : لقد كان هذا هو موقفكم في أزمة الكويت ؟! فما هو موقفكم يا سادة من تحرير الشعب الفلسطيني ؟ أليست أمريكا التي جرتكم إلى حرب تحرير الكويت هي هي التي تطالبكم بالتخلي عن كل موقف يطالب بتحرير فلسطين ، وتدفعكم إلى محاصرة الانتفاضة وضربها ؟!! .

يا حكام العرب أفيقوا وأدركوا أبعاد الوجود الصهيوني في المنطقة ، لقد كان الأمر بيناً من البداية ، ولكنه الآن أصبح ظاهراً بجلاء ، والمطلوب هو فرض السيطرة الأمريكية - الصهيونية على المنطقة حتى لو اقتضى الأمر إزالة العروش من تحتكم !

يا أيها العرب والمسلمون اتعظوا واعتبروا وتدبروا قول الخالق سبحانه : { **لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ** } [ المائدة : ٧٠ ] . وتذكروا أن الله عزَّ وجلَّ كما أخبرنا بحقيقة سلف اليهود ، فقد أرشدنا معشر المسلمين حكاماً ومحكومين إلى الموقف الصواب فقال : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ** } [ المائدة : ٥١ ] .

إنني إذ أذكّر بهذه الدروس والعبر آمل أن تجد آذاناً صاغية قبل فوات الأوان ، والله تعالى هو الموفق إلى سواء السبيل .